ثقافة الحوار وأبعادها في المصالحة الوطنية والحوار الوطني

● د. عبد الجبار احمد

كثيراً ما تتعرض الأمم والشعوب لمخاطر وأزمات تُهدد كيانها وتعصف بمصالحها ونظمها وتزداد فداحة الخطر أو الأزمة إذا ما حدث شتات وطني بين القوى الرئيسة داخل المجتمع الواحد بإزاء كيفية التعامل مع ذلك الخطر أو تلك الأزمة، عندئذ لايصبح هناك بديل عن تحقيق نوع من الاتفاق الوطني للتعامل مع الأزمة.

والعراق اليوم يتعرض لمخاطر حقيقية عديدة ومتنوعة من شأنها أن لم تعصف بالبلاد والعباد سوية.. فإنها ستُعطل من مشروع بناء الخيار الديمقراطي في العراق أو تدفعه في مسارات منحرفة.

ومشروع المصالحة الوطنية أو الحوار الوطني: هو مشروع التفاعل الجماعي بين قوى مجتمع ما حول البدائل المطروحة للتعامل مع أزمة ما من خلال التقييم الموضوعي الجاد والعرض النقدي الحرّ لهذه البدائل لاختيار أصلحها ليصبح من ثمّ اتفاقاً وطنياً ملزماً على أن تتم هذه العملية من خلال " لجنة أو مؤتمر " تمثل القوى الأساسية في المجتمع، والمهم هنا هو ليس إعطاء تعريفات نظرية لمفهوم المصالحة أو الحوار الوطني.. على رغم أهمية تحديد المفاهيم والمصطلحات، ولكن التركيز على ما وراء التعريف وإيجاد الأرضية المناسبة في حيّز التطبيق هو الأهم وهذا سيكون عن طريق بيان أهمية ثقافة المصالحة.. إلى جانب طرائق أخرى، وهنا نرى أنّه من الضروري تأكيد بعض النقاط التي نراها مهمة وهي:

1. إذا كان هناك من يطرح مفهوم حوار الحضارات والأديان كواحدة من مستلزمات تعزيز المصالحة المشتركة وتقريب وجهات النظر وتحقيق السلم والأمن لكل دول العالم، فان الحوار الوطني على صعيد الوطن العراقي.. الوطن الواحد سيكون أكثر ضرورة وحيوية للتقريب بين أبناء البلد الواحد وتعزيز المصالح المشتركة وإيجاد هويّة وطنية عراقية واحدة مع احترام عالٍ لمنطق إدارة التنوع والاختلافات بطريقة ديمقراطية سليمة.

2. إنّ القصد هو زيادة نسبة التفاهمات العراقية المتبادلة ما بين القوى السياسية والنخب السياسية المؤثرة في مقاليد السياسة العراقية.

3. تقليص نسبة التعارضات العراقية المتبادلة بالشكل الذي يُقلص من الفجوات الحاصلة وتحقيق بناء المزيد من الجسور التي تعرّت لأسباب خارجية بفعل السياسة الخاطئة للولايات المتحدة الأمريكية "في بعض أجزائها" أو لأسباب داخلية، بفعل سيادة منطق العناد والتعصب السياسي والذي أدى بدوره لسيادة منطق التعصب الطائفي والمذهبي.

4. نقل النشاط السياسي العراقي من ساحة التصارع والتنابذ إلى ساحات التئام والاختلاف وإحلال معادلة اللعبة غير الصفرية محل اللعبة الصفرية السائدة والتي تعني هنا " رابح و خاسر " وضرورة إشاعة مبدأ أن الكل هم رابحون.

5. أنها تعني: اعتماد آلية سليمة في التعبير عن الرأي وفي التأثير على القرار السياسي العراقي، حيث المساهمة والمشاركة في صنع القرار ومروراً باتخاذ القرار وانتهاءاً بتنفيذه ومراقبته.. وهذا من شأنه إشاعة ثقافة العمل السياسي داخل النظام السياسي وليس على النظام السياسي وتحديد أساسات قوية للقضايا المختلف عليها سعياً لتكبير مجالات القضايا المختلف عليها مع تأكيد حقيقة " أن الاعتراف بالاختلاف مطلب سياسي وشرعي وموضوعي " بعكس مبدأ الخلاف الذي لايعني سوى المعارضة للمعارضة وغلق الأبواب والمنافذ أمام طرح الخيارات البديلة.

6. ستكون هي تعبيراً عن ثقافة الإحالة إلى السلام بدلاً من الإحالة إلى السلاح، ومن ثمّ التركيز على المدني فضاءاً





كان أم برلمانا صحافة أم نشاطا لمؤسسة مدنية طوعية ، والابتعاد كليا عن ما هو غير مدني .. وعلينا أن نتذكر بأن القوة لا تصنع حقا وإنما الحق هو الذي يصنع القوة وأن القوة الحقيقية ليست هي تلك التي تجلب وتحقق القبول بل الرضى والطاعة ، والقوة ينبغي أن توظف قوة الحكومة وقوة الجماعات الأخرى للدفاع عن عملية بناء النظام السياسي والدولة في العراق وضرورة الابتعاد عن استخدام القوة في علاقة الحكومة مع القوى السياسية والاجتماعية أو في علاقة القوى هذه مع الحكومة أو في علاقة القوى في ما بينها.

.7ضرورة اعتماد مبدأ التسامح في اي خطوة تعتمد ، والتسامح المقصود به هنا هو الامتناع عن استخدام اي وسيلة من وسائل العنف والتجريح والتدليس واحترام الآراء وليس رفضها سواء كان على مستوى الفكر أو على مستوى السلوك ، وعلينا أن نتذكر في كون الثقافة السياسية السائدة حاليا في العراق هو أن الثقافة أصبحت وسيلة للتعبير عن المنازعات وليست سببا فيها ، فأصل المشكلة ليست "ثقافية" بل سياسية

.8لذلك فإن القضية ليست هي ترف ثقافي للتسلية أو ندوة للسجالات النظرية والفكرية ، بل قضية تحديد آليات وتثبيت أولويات ونحن بحاجة ماسة لآليات وأولويات لأنه من شأنه أن يقلص من سبل النزاع الحاصل الآن .. وستكون المصالحة هنا إعادة ترتيب للأولويات للأطراف العراقية ، ويكون للتفاهم والتعاون والتفاوض أولوية أولى واستخدام القوة والعنف كأولوية أخيرة في القاموس السياسي العراقي.

.9ومن الموضوعية هي ضرورة تحديد طبيعة المصالحة الوطنية هل هي تاريخية (ماضوية) ، أم اقتصادية لمصالح ، أم اجتماعية(قبائل و عشائر) ، أم دينية (مسلم ومسيحي) ، أم سياسية بالدرجة الأساس .. وما نحسبه له الأهمية هو البعد السياسي المغلف بالبعد الاقتصادي ، فالنزاع الحاصل الآن هو على من يسيطر ، على مقاليد السياسية التي تضيء الشيء الكثير وأولها الاقتصاد ، ولذلك فإن من الضروري تنشيط دور مؤسسات المجتمع المدني في هذا الإطار المستقبلي - السياسي ، وجوانب التنشيط عديدة منها يمكن لمؤسسات المجتمع المدني أن تلعب أدوار مقاربة لأدوار حفظ وصناعة السلام بفعل توافر صفة الطوعية والاستقلالية والحيادية لكثير منها ولتكن واحدة من سبل نزع فتيل الحرب الأهلية.

.10لابد من دفع ثقافة الحوار ا ، ومن القصدي والمنظم أكثر من الاعتماد على ثقافة الحوار التقليدي الطبيعي .. لأن الثقافة الاولى تفترض معرفة أسباب ومسببات النزاع والخلاف والتصارع الحاصل حاليا ، ومن ثم تنظيم سبل وآليات و وسائل له تأطره .. اما الثقافة الأخرى فهي مجرد عملية تبادل طبيعية لانفعالات وتأثيرات متبادلة اي عملية "أخذ ورد"

.11ضرورة التأكيد على "الموروث" الديني والتجارب السياسية القديمة والمعاصرة والتجارب الانسانية ككل ، والتي من شأنها أن تنشر وتعزز من الثقافة التي تنمي من اعتبار المصالحة الوطنية والحوار الوطني هي أداة للتفاهم و وسيلة للتعايش والعيش المشترك وضمان وحدة البلد وليس مجرد هدنة مؤقتة قد تنتهي في أقرب حال.